التناص الديني في شعر مفدي زكريا –اللهب المقدّس أنموذجا.

أ. حاكمي نورة –جامعة الأغواط.

الملخص

مما لا شك أن مفهوم التناص قائم على دراسة النص الأدبي في ضوء علاقته بنصوص سابقة باعتبار أن تلك العلاقة إنمّا هي ضرب من تقاطع أو تعديل متبادل بين وحدات عائدة إلى نصوص مختلفة لتأخذ مكانها في بنية نصية جديدة، و من ثم يمكن القول إن كل " نص" إنمّا هو تسرب و تحويل لجملة من النصوص السابقة و هذه النظرة الإيجابية لمفهوم النص عززت موقع " التناص " في الدراسات النقدية الحديثة فأخذ التناص فيها منحى إيجابي ، بعد أن تخلص من تلك النظرة التي رافقته في العصور القديمة ذات الطابع الأخلاقي ، التي وصمته بأنه ضرب من السرقة، ولقد كان محط دراستي هذه على التناص القرآني في شعر **مفدي زكريا** الذي يعتبر في طليعة الشعراء المعاصرين الذين التصقوا بشعوبهم و حملوا همومها و انشغالاتها , و آمن بتاريخ بلده و تألم لآلامه و عايش معاناته و قد احتكم إلى العقل الثوري لكسر قيود المستعمر , و كان دوما يستمع لنبضات قلب الشعب الجزائري فعبر عن آلامه و أزماته و حمل أفراحه و أقراحه . **الكلمات المفتاحية : التناص ـــ الديني ـــ في ـــ شعر ـــ مفدي زكريا ـــ " اللهب المقدس**

Abstract

There is no doubt that the concept of) Intertextuality (is based on the study of the literary text in light of its relationship with previous texts, considering that the relationship is a multiplication or mutual modification between units belonging to different texts to take place in a new text structure, "It is a leak and a transformation of a collection of previous texts and this positive view of the concept of text strengthened the site of" Intertextuality"in modern monetary studies, which took a positive direction, after removing the view that accompanied him in ancient times of moral character, From theft, and I focused of my studies on Quranic (Intertextuality in from Mofdi Zakaria's poetry , who is at the forefront of contemporary poets who stuck to their people, and they carried their concerns and preoccupations, he suffered from their suffering and preferred to be revolutionary to break the colonial restrictions ,and he was always listening to the heartbeat of the Algerian people across the nation and its crises and carried his happiness and his sadness

مقدمة

لقد كانت اللغة العربية وعاءً للقرآن الكريم لما امتازت به من سلامة التعبير وحسن التصوير، ولكونها لغة القرآن الكريم. إن القرآن الكريم فرض الاهتمام به على الحاكم والمحكوم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تطور هذا الاهتمام عن طريق دور التعليم والمساجد وظل القرآن الكريم الرابط المتين الذي يربط الشعر العربي بعضه ببعض قديمه وحديثه على مر العصور ،لأنه المنبع في إمداد الثروة اللغوية للشعر العربي فقط ،وللنثر أيضا فقد حدد ابن الأثير للكتابة أركان منها :

- أن لا تخلو الكتابة من معنى من معاني القرآن الكريم والأخبار النبوية فإنها معدن الفصاحة والبلاغة كما قسم الطرق إلى تعلم الكتابة الأدبية إلى ثلاثة شعب.

- أن يصرف همه إلى حفظ القرآن الكريم ، وكثير من الأخبار النبوية وعدة من دواوين فصول الشعراء وممن غلب على شعره الإجادة في المعاني والألفاظ ،ثم يأخذ في الاقتباس من هذه الثلاثة اعني: القرآن ،الأخبار النبوية ، والأشعار فيقوم ويقع ، ويخطئ ، ويصيب ، ويضّل ويهتدي ، حتى يستقيم على طريقه ويفتتحها لنفسه .....

حاولت في هذه الدراسة (التناص الديني في شعر مفدي زكريا) و اخترت **"ديوان اللهب المقدس" أنموذجا** أن تبين ما يتمتع به الشعر الثوري من لآلئ و لا سيما شعر مفدي زكريا الذي لا يزال يمد الدراسات المعاصرة بمادة ثرية أغنت الحقول المعرفية في مجالات اللغة و البلاغة و الفكر الإنساني ... الخ .

ومن هنا نطرح الإشكاليات التالية :

ما هو مفهوم التّناص الديني ؟ كيف كان التّناص مع القرآن و الحديث و قصص الأنبياء ؟

مفهوم التناص الديني :

إن كتابا مقدسا مثل هذا له مكانة من البلاغة والفصاحة ومنزلته في القلوب واجتماع الأمة حوله لابد من أن يأسر الشعراء ويطغى على عقولهم وأن يتأثروا به في أشعارهم ذلك لأن القرآن الكريم أدب روح يسمو بالإنسان إلى عالم المادة[1]

ويأخذ بيده إلى السماء لينظر إلى الأرض نظرة تريه الحق حقا والباطل باطلا وتختلف نسب التأثر بالقرآن الكريم تبعا للثقافة القرآنية التي اعتمدها هذا الشاعر أو ذاك ، مقدار تواصله بوفد تلك الثقافة من الدراسات القرآنية المختلفة فمنهم من يكون تأثره في جانب معين ، والآخر بجوانب أخرى ولكن المهم أن المؤثر هو القرآن الكريم كان قويا واضحا مستمرا وأن الأثر واضح من النتاج الشعري.

---

[1] محمد شهاب العاني ، أثر القرآن الكريم في الشعر العربي دراسة في الشعر الأندلسي, دجلة ,عمان.2007,ص6، 16

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد هيمنت الرؤية الشعرية المنبثقة عن الموروث الديني في شعر" **مفدي زكريا** " ، على مساحات واسعة من نصوصه الإبداعية وأصبح النص الديني بؤرة مركزية فنية مولدة ، كثيرة الاحاءات والأفكار ولعل السبب في ذلك يعود إلى أمرين:

أحدهما: أن الموروث الديني يزود الشعر بألفاظ وتراكيب عجيبة ، وثانيهما: أن الاقتباس والتضمين و استلهام القرآن خاصة والموروث الديني عامّة .

ويعد الموروث الديني رافدا مهما من روافد ومصادر التجربة الشعرية لدى مفدى زكريا ، ممّا جعله يفجر طاقاته الدلالية ، ويفيد من خلال ذلك الموروث والاتكاء عليه في تغذية عقله ، واكتساب تجربته الشعرية قيما إنسانية ، و فضائل أخلاقية .[1]

كما يلاحظ أن الانفتاح عند" **مفدي زكريا"** على الموروث الديني و التنّاص معه ، جعل نصوصه الشعرية نصوصا لها هيمنة قوية ، وسلطة تأثيرية عجيبة انتقل فيها [2]

الخطاب الشعري إلى رؤية تقنية ، ولقد أكثر **مفدي زكريا** من التناصات الدينية فيما يخّص العقيدة والحديث النبوي الشريف والتراث الإسلامي في شعره من خلال ديوانه **اللهب المقدس**

فاستثمر النّص الديني لكونه مادة خصبة في اغتناء التجربة الشعرية[3]

إن الاقتباس من القرآن والحديث والشعر وغيره طريقة مألوفة في الكتابة النثرية ، إذ يرى القدماء والمحدثون أن هذه الخاصية الأسلوبية من الأمور الجيدة التي بها تكتمل بلاغة الكاتب فالاستناد على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في تحليل ظاهرة من الظواهر في النص بإمكانها أن تثري النص بإيحاءات جمالية ودلالات معنوية وفنية[4].

وهذا ما وجدناه عند شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا ، حيث أنه يتعامل مع ألفاظ القرآن الكريم فلا يقف عند اللفظة القرآنية وإنما يحاول أن ينفخ فيها حتى يعطيها مفهوما جديدا ، وليس مع ألفاظ القرآن الكريم فحسب بل مع ألفاظ التراث العربي القديم وغيره إلى جانب هذا نجده كذلك يضمن أبيات معينة لفحول الشعراء وينظم القصائد الطوال و يعرض فحول الشعراء وهذا في ثوب يرقى فيه الطرح الفكري ويكمل العمل الفني إلى المستوى الذي ينبغي أن يكون عليه الشاعر .

---

[1] – محمد شهاب العاني ، أثر القرآن الكريم في الشعر، العربي ص 17

[2] د. إبراهيم مصطفى محمد الدهون،التناص في شعر أبي العلاء المعري،عالم الكتب الحديث ،الأردن ،2005 ،ص 117 (بتصرف)

[3] إبراهيم مصطفى محمد الدهون ، التناص في شعر أبي العلاء المعري ،ص 118

[4] د- سعيد سلام ،التناص التراثي "الرواية الجزائرية أنموذجا "،ص 106

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن نصوص مفدي زكريا تتفاعل وتنصهر فيها بنيات نصية متنوعة : دينية ، تاريخية ، تراثية

وما نلاحظه أيضا انه يوظف المفردات الدينية بأسلوب متمايز مع التأكيد على التحوير والتبديل بما ينسجم مع سياق النص الشعري وفضائه العام [1]

وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا الفصل من خلال تقديم نماذج متنوعة من أعمال الشاعر مفدي زكريا

بدراسة التناص الديني ضمن ثلاثة محاور رئيسية هي :

1_ التناص مع القرآن

2_ التناص مع شخصيات الأنبياء والقصص

3_ التناص مع الحديث النبوي الشريف

1_ التناص مع القرآن : يحتل القرآن الكريم مركزا مهما في نفوس الشعراء والأدباء وذلك لغنى آياته بطاقات لا تنفذ وأسلوبه الفني المعجز وبلاغته المشرقة إضافة لاحتوائه قيما فكرية ، وتشريعات سامية فهو دستور شريعة ، ومنهاج أمة يمثل في اللغة العربية تاج أدبها وقاموس لغتها ، ومظهر بلاغتها وحضارتها ثم فوق ذالك طاقة خلاقة من الذكر والفكر، يجد فيها الذاكرون والمتفكرون لمسات سماوية يهتدي لها الشاعر وتقشعر من روعتها الجلود كلما تدبرت معانيها واستثمرت جلالها[2] مستخرجة من كلام العرب ، نثرا وشعرا ،نجدها مبثوثة.[3] في كتب البيان و البلاغة والنقد، ولقد اتسمت لفظة القرآن الكريم بسمات وخصائص لطيفة لا يدرك حقيقتها إلا من تفرغ لدراسة القرآن الكريم، ووهب نفسه لمعرفة معالم إعجازه وسخر وقته للتبخر في سر ذالك الإبداع والجمال الفني الذي يتسم به القرآن الكريم[4] ويعد القرآن رافدا غنيا ، ومنهلا عذبا للشعراء فاستقوا منه، واستثمروا طاقته ، لما يدعم ويساند تجاربهم الشعرية ، ومواقفهم الفكرية ، وهنا تتبدى الوظيفة الأساسية والجمالية للتناص القرآني في الشعر حتى تأسيس لغة طافحة بحيوية دافقة ، ومشحونة بطاقات عظيمة تكسب النص الشعري رونقا جماليا ، وقراء فنيا وصدقا قويا ولا يخفي على أحد أن النصوص القرآنية قادرة بلا شك على رفد ذاكرة الشاعر بمعاني ودلالات ، ومعارف ومحاور متجددة ، ومنظورات متعددة ، فكان استدعاء الشاعر واستلهامه للقرآن الكريم أو ألفاظه ،أو قصصه أو أحداثه ،أو شخصياته ، أو

---

[1] إبراهيم مصطفى محمد الدهون ، التناص في شعر العلاء المعري ، ص 108

[2] المرجع نفسه ، ص 119

[3] د- محمد شهاب العاني ، أثر القرآن في الشعر العربي ، ص 49

[4] د محمد شهاب العاني ، أثر القرآن في الشعر العربي ،ص 49

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معانيه أحد السبل والأسباب في الانتقال بالنّص من العقم ، والإنتاجية إلا نص مليء بالتجارب ، والحقائق، نص منفتح على آفاق علوية مشرقة مكتنزة برؤى متعددة الانفتاح الدلالي [1]

وعليه حينما نقرأ شعر مفدي زكريا نلاحظ جليا أن القرآن كان متنفسا ،ومعينا أساسا من المصادر التي استنطقها مفدي ، وروافد مهمة وليس هذا الأمر غريبا على مفدي زكريا ونجد أن شاعرنا قد تشبع بالثقافة القرآنية ، وترسخت فيه بفعل الترحال إلى البلدان الإسلامية ، وقد تجلى ذلك في شعره حيث حفل بالعديد من الكلمات والتعابير القرآنية والقارئ لأشعاره سيتحضر في كل بيت آية وفي كل قصيدة معان قرآنية ، وتقدم هذه القراءة صورة عن مظاهر التّناص مع القرآن الكريم في شعره ومدى تأثره الكبير بلغة القرآن الكريم .

إن الثقافة العربية على توالي العصور الإسلامية كانت في مجملها تعتمد على القرآن الكريم مصدرا تدور حوله الأبحاث والدراسات اللغوية والأدبية والفكرية ، وهناك العديد من النماذج من بدايات العصر الإسلامي إلى العصر الحديث على مفدي فاق الكثير من أقرانه الشعراء في اعتماد اللغة القرآنية ، وأخذ الصور والرموز العديدة من كتاب الله ، وقد حالفه النجاح في الغالب في توظيف المعاني القرآنية ، وليس هذا مدعاة للغرابة فقد كان لنشأته الدينية وبيئة الثقافية والاجتماعية التي تحكم الدين في السلوك اليومي أثر على حياته وشعره ، ولقد تربى في منطقة معروفة بتدينها الواسع وولائها الكبير للمعتقد ، فلم يَحِدُ[2].

عن هذا الجو الديني ولا عن أساليبه التعليمية ، ثم كان لنشأة الحركة الإصطلاحية التي وجّد الشاعر نفسه محاطا بها ، ومن ثم احد رموزها الفاعلين ، مما عمق ثقافته الإسلامية فاعتمدها وسيلة اتصال فإن البيئة الميزانية لم تكن متأثرة بالثقافة الغربية ولم تستفحل فيها الحركات الفكرية الأجنبية ، ولهذا وجد الشاعر نفسه من منبع صافي : القرآن الكريم، والتراث العربي القديم الذي لا يخلو هو الأخر بدوره من الأثر القرآني .

وقد لاحظنا أن صلة الشاعر بالقرآن الكريم كانت عميقة فتركت آثارها في أكثر من جانب ، ولذلك ارتأينا أن ندرسها من كل الجوانب[3] .

يختلف الشعراء في التعامل مع أداة التجربة الشعرية، فيصبح لكل شاعر ميزة يتفرد بها في تناول اللغة، فهناك مثلا من يأخذا لألفاظ والتراكيب الجاهزة دون اجتهاد بلا إبداع في مجال العلاقات اللغوية

---

[1] إبراهيم مصطفى محمد الدهون ، التناص في شعر أبي العلاء المعري ،ص 119

[2] بو علي الناصر ، التناص الديني في شعر مفدي زكريا ،مجلة الآداب واللغات ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة الجزائر ، العدد السابع ، ماي ، 2008 .

[3] بو علي الناصر، التناص الديني في شعر مفدي زكريا، ، العدد 7 ، ماي ، 2008

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و مفدي زكرياء ينتهج طريقة خاصة تتميز بالتصاقه الشديد بالقرآن الكريم ونهله منه مفردات وتراكيب يحسن توظيفها إن الألفاظ التي احتواها القرآن الكريم هي ملك اللغة العربية قبل أن يستخدمها القرآن الكريم ،ومن هنا الشاعر حر في التعامل معها .

إن مفدي زكريا وهو ينظم أشعاره يعتمد على ذخيرته اللغوية والتي تكونت لديهم اتصاله الوثيق بالقرآن وبلغة القرآن ، والقارئ لأشعاره يجد أساليب وكلمات القرآن مبسوطة أمامه ومنتشرة في أشعاره، وبالتالي فإنه يصدر عن معجم اللغة العربية العامة، وكلما قرأ القارئ قصائده يستحضر الكثير من ألفاظ القرآن الكريم[1] من ذلك قوله:

وَاقْضِ يَامَوت فِي مَا أنتَ قاضٍ * أنا راضٍ،إن عاشَ شَعْبِي سعيداً[2]

فهذا اقتباس من قوله تعالى:« **قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** »[3]

فالعبارة الواردة في الآية الكريمة تناص نلاحظه في الشطر الأول فاقض ياموت في ما أنت قاض تدل على مبدأ القدر الديني في معتقد الشاعر ونجد في قوله أيضا:

زعَمُوا قَتْلَوهُ.....وَمَا صَلبُوهُ * لَيْسَ فِي الخَالِدِيْنَ عِيسَى الو حيدا[4]

فهذا تعبير قرآني حيث شبه الشهيد بالنبي عيسى عليه السلام الذي رفعه الله إليه ولم يمت ،وأن الشهيد عند الله يرزق وهذا مقتبسمن قوله تعالى :« **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**[5]»

ونجده يقول :

ضَاقَ الخِنَاقُ عَلَى دُعَاة الهَزِيْمَة * فَزَلَتْ بِهِمْ فِي ثَوْرَةِ الأَقْدَامِ

وَتَنَاثَرَتْ تِلْكَ الهَيَاكِل وانطَوَت * وَتَهَاوت الأَنْصَابُ والأَزْلَامُ[6]

---

[1]_ علي الناصر، التناص الديني في شعر مفدي زكريا، ، العدد 7 ، ماي ، 2008

[2]_ مفدي زكريا ،اللهب المقدس ، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر ، ب ط، ب ت ، ص18

[3]_سورة طه ،الآية 72

[4]_مفدي زكرياء اللهب المقدس، ص 18

[5]_سورة ،النساء، الآية 157

[6]مفدي زكريا ،اللهب المقدس ،ص44

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكلمتا الأنصاب والأزلام مأخوذتان من قوله تعالى :« **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** »[1]

إشارة منه إلى أنَّ دعاة مهادنة المستعمر وقبول العيش تحت حكمه يمثلون الشيء المحرم في الجزائر والمحتقر عند الشعب وأن نجمهم صائر فهم رجس من صنف الأنصاب والأزلام المعرض عنها من قبل المسلمين[2]

حَالِمًا كَالكَلِيمِ كَلَّمَهُ (المَجْد) * فَشَدَّ الحبالَ يَبْغِي الصُعُودَا[3]

أخذ الشاعر هذا اللفظ"الكليم" ، من الآية الكريمة :« **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** »[4] إن الشاعر في اقتباسه من الأحداث لهذه القصة تجلى في لحظة تكليم الله لموسى عليه السلام على طول السماء وهي لحظات تجسم انتصار الحق عن الباطل .

فقد نقل الشاعر شعوره الذال على القلق والحسرة والضيق اتجاه ناكري الخير والمعروف ، واستعمل لفظة *عتل *لتدل على الصفحة التي يمكن أن تطلق على هؤلاء ، فولدت صورة شعرية ربطت الشاعر بالملتقى وفي قوله :

هُو الإِثْمُ زَلْزَلَ زِلْزَالَـهَا * فَزُلزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَـــهَا

وَحَمَلَهَا النَّاسُ أَثْقَالَهَـا * فَأَخْرَجَتْ الأَرْضُ أَثْقَـالَهَا

وَقَالَ ابْنُ آدَمَ فِي حُمْقِهِ * يَسْئَلُهَا سَاحِر مَالَـتـــهَا[5]

تناصت هذه الأبيات مع قوله تعالى :« **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا** » [6]

فالشاعر يتناص مع الآيات الأولى من سورة * الزلزلة * فهو يصور الزلزال الذي أصاب الأصنام التي هي مدينة * الشلف * حاليا . وأراد أن يبرز هول المصيبة، والأحداث والخسائر

---

[1] ـ سورة المائدة ، الآية 90.

[2] بو علي عبد الناصر ، التناص الديني في شعر مفدي زكريا، ، العدد7 ،ماي -2008

[3] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 17

[4] سورة النساء ، الآية 164

[5] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 30

[6] سورة، الزلزلة ، الآية ،1-5

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الناجمة عنه ، فلجأ إلى القرآن الكريم الذي يعطي صورة عن حدوثه الساعة وقدرة الله سبحانه وتعالى على تغيير الأوضاع مما يؤدي إلى الهلع والاستغراب.[1]

ويسند الشاعر نص آخر في قوله :

دَعَا التَارِيْخُ لَيْلَكَ فَاسْتَجَابَا * نُوفَمْبَرُ هَلْ وَفَيْتَ لنا الَّنصَايَا

وَهَلْ سَمِعَ المجِيبُ نِدَاء شَعِبٍ * فَكَانتْ لَيْلَةُ القَدرِ الجَوَابا

تَبَارَكَ لَيْلُكَ المَيْمُون نَجْمًا * وَجَلَ جَلَالُهُ هَتَكَ الحِجَابَا

زَكَتْ وَثَبَانه عَنْ أَلْفِ شَهْرٍ * قَضَاهَا الشَّعْبُ يَلْتَحِقُ السرابا[2]

هذه الصورة مستوحاة من قوله تعالى:« **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ** »[3] إن الشاعر يبدو متأثرا بليلة القدر العظيمة فاستثمر في جل ألفاظ السور القرآنية : ليلة القدر ،ألف شهر.

وفي قوله ايضا :

بِنَاشِئَةٍ هُنَاكَ أَشَدُ وَطْأ * وأَقومُ مَنْطِقَا وَأَحَدُ نَابا[4]

فالبيت الشعري هذا متعالق مع الآية القرآنية منقوله تعالى :« **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا** » [5] فالآية الكريمة تتحدث عن الرسول صلّى الله عليّه وسلّم الذي كان يقيم الليل بين يدي ربه حتى تفطرت قدماه [6]، وفي قوله:

وَهَـزَتْ مَرْيَمُ العَذْرَآ نَخِيْلًا * فَأَسْقَطَتْ الفلَوْذَجَ والرَضَّابَا

عَرَاجِنَ ،كَالمُجَرَةِ مُشْرِقَـاتٍ* عَسَالِجَهَا ،انْسَّكَبْنَ انْسِكَابَا[7]

فتأسره سورة مريم بروعة تراكيبها ، وانسجام عباراتها ، وعذوبة إيقاعها ، ويهز التصوير الرباني الرائع لمشهد العذراء ، عليها السلام ، وقد جاءها المخاض إلى جذع النخلة ، فتمنت لو

---

[1] بوعلي عبد الناصر ،التناص الديني في شعر مفدي زكريا، العدد7 ، ماي 2008

[2] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 30

[3] سورة القدر ،الآية 1-4

[4] مفدي زكريا ، اللهب المقدس، ص 31

[5] سورة، المزمل ، الآية 6

[6] بوعلي عبد الناصر ،التناص في شعر مفدي زكريا ، العدد7 ، ماي 2008

[7] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ،ص37.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ماتت قبل هذا أو كانت نسيا منسيا ، يهز هذا التصوير الشاعر كما أمرت عليها السلام أن تهز الجذع لقوله تعالى :« **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** »[1]وذلك لتعبير عن منتوج الصحراء المتمثل في التمر اللذيذ ، ذي القيمة الغذائية العالية ، ولقد سحرت سورة مريم الكثير من المبدعين إلى حد جعل البعض يعدها شعرا.

وخلاصة الرأي في هذا التناص مع القرآن الكريم هو أن مفدي زكريا استفاد إستفادة عظمى من القرآن الكريم ، حتى أننا لا نجد قصيدة واحدة لم تتأثر باللَّفظ القرآني، فأثر القرآن الكريم ظاهر جدا في شعره ، و التأثر به كان في محله لفظا ومعنى ، ولعل حسن توظيف اللفظ القرآني أعطى للقصيدة معنى جديدا وألبسها ثوب الحقيقة وقوة التعبير وحسن التناسق ، وما نلاحظه في توظيف اللفظ القرآني أنه يختلف من موضوع لآخر ويمكن أن نميز بين نمطين للتعامل مع اللفظ القرآني :

أ_ توظيف اللفظ دون المعنى :

نجده يأخذ اللفظ القرآني دون المعنى ويعبر به عن معنى غير قرآني وهذا يدل على تفشي اللغة القرآنية في معجمه واستعابه لها وتأثره الكبير بها مثلما سبق ذكره[2] ، وذلك في قوله:

وَفِي سَكْرَة، ضيعوا عِزَتـي * ولم يغن عني سلطانـيه[3]

فهو مأخوذ من الآية * **مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ** *[4]

وفي حديثه عن انتصارات الثورة الجزائرية يقول :

وَالزّرعُ أَخْرَجَ فِي الجَزَائِر شَطْأَه * فَمَضَّى وهبَ إِلَى الحَصَّادَ كِرَام[5]

مستوحى من قوله تعالى :«* **كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ** *»[6] فهذه الآمثلة سيقت لتوضيح غلبة اللفظ القرآني في لغة مفدي زكرياء وحسن توظيفه لها .

ب_توظيف اللفظ والمعنى معا :

وقد اشترط العرب في اللفظ القرآني شروحا تحسن بها ، إن توفرت فيها ، وتقبح إن خلت منها وهذه الشروط المستخرجة من كلام العرب ، نثرا وشعرا ، نجدها مبثوثة في كتب البيان

[1]سورة مريم ، الآية 25
[2]بوعلي عبد الناصر ،التناص في شعر مفدي زكريا ، العدد7 ،ماي 2008
[3]مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 341
[4]سورة ،الحاقة ، الآية 28- 29
[5]مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 44
[6]سورة ،الفتح ،اللآية29

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبلاغة والنقد، ولقد اتسمت لفظة القرآن بسمات وخصائص لطيفة لا يدرك حقيقتها إلا من تفرغ لدراسة القرآن الكريم[1]، وفي هذا المقام يلجأ الشاعر إلى نقل صورة بعينها لفظا ومعنى يضمها إلى شعره بطرق فنية تدل من جهة لسعة الثقافة القرآنية للشاعر ومن جهة أخرى براعته في التوفيق الدلالي بين قصده ومعنى الآية ومن قوله:

مَنْ يَشْتَرِي الخُلْدَ؟ إنَّ الله بَـائِعُهُ * فَاسْتَبْشِرُوا ،وَأَسْرِعُو،فَالبَيْعُ مَحْدُود[2]

ففكرة البيت تقوم على أساس مفهوم تجاري يتلخص في شراء جنة الخلد بما يدم ثمنا لها من نفوس وأموالوالمفهوم المستوحى من قوله تعالى :«* **إِنَ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِيْنَ أَنْفُسَهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ بِأَنَ لَهُمْ الجَنَّة يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيْلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيَقْتَلُونَ وَعْدَ اعَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ والإِنْجِيْلِ والقُرْآنِ ، ومَن أُوفِى بَعْدَهُ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُو بَبْيعَكُمْ الّذِي بَايَعْتُمْ بِه وَذَلِكَ هُو الفَوْزُ العَظِّيمْ** *»[3] فالشاعر قد استوحى الآية معنى ولفظا .

وخلاصة لما سبق ذكره نقول :أن تناص الشاعر مفدي زكريا واضح مع النص القرآني معنى ولفظا وأسلوبا ، فالمعنى دعوة صريحة لذكر الخالق ، واستغلال مفردات النص القرآني وتفجير التراكيب وتحفيزها والمفردات والمعني والدلالات الجديدة تتواءم والنص الجديد.

وهناك الأسلوب التوافقي بين النص الشعري والنص القرآني ، بل هو علاقة يقوم فيها الشاعر بعملية حفر وتفجير لطاقات كامنة يستمدها من النص القرآني منبع مهم قادر على فتح الشعر وإكتسابه خصوبة وثراء كبيرين ، من خلال ما تحمله الآيات والألفاظ القرآنية[4].

2: التناص مع الأنبياء وقصصهم :

لم تعد النصوص هي المرجعية الوحيدة للنص على الرغم من أن النص في الغالب "يتوالد من نصوص أخرى " ،وكما يشير إلى ذلك تحديد " جينيت " للتناص بأنه الحضور الفعلي للنص في نص آخر " ،فثمة مرجعيات شتى سعى النص إلى الانفتاح عليها ، بل لقد أصبح العالم بكل تفاصيله ومكوناته مرجعا مركزيا يأخذ النص منه ما تقتضيه التجربة التي يتناولها ، وتعد الشخصيات القرآنية من " إحدى أدوات استجلاب الإبداع ،والاستعانة للدخول إلى عوالم إبداعية والحصول على معان جديدة[5]

ولقد امتلأ النص القرآني بقصص الأنبياء التي قدمت أبعادا ورموزا تراوحت على سبيل المثال ما بين: ثنائية الإيمان والكفر ، والخير والشر ، والغنى والفقر وإبراز المواعظ والعبر للأمم السابقة ، ولقد كانت قصص الأنبياء بالنسبة للشاعر نقطة ارتكاز ومحطة تزويد انطلق

---

[1] د. محمد شهاب العاني ،أثر القرآن الكريم في الشعر العربي ، ص49

[2] مفدي زكرياء ، اللهب المقدس ،ص 271

[3] د. ابراهيم مصطفى محمد الدهون ، التناص في شعر ابي العلاء المعري ، ص 134-144

[4] د.إبراهيم مصطفى محمد الدهون ، التناص في شعر أبي العلاء المعري ، ص 144

[5] نقلاً عن: عصام حفظ الله واصل ، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر ، دار غيداء عمان ، ط1 ، 1431ه- - 2011م، ص 151

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منها نحو عوالم قدسية وعلوية مشرقة ساهمت في اغناء نصه الشعري واكتسابه متانة وتماسكا كبيرين ، وذلك من خلال إسقاط ملامحها ومدلولاتها على الألفاظ والتراكيب الشعرية ومن جهة أخرى فإن تناص الشاعر مع الأنبياء يتطلب وعيا عميقا بمضامينها وزمانها ومكانها ورموزها ، والمحاور التي جاءت تحملها في النص القرآني ، ويتمثل ذلك الوعي بالكيفية التي استثمر فيها الشاعر معطيات الشخصية القرآنية والدروس والعبر المنتقاة منها ليؤكد من خلالها رؤيته وفلسفته الخاصة[1].

إن استدعاء الشخصيات التراثية والرموز أمر واضح بارز في شعرنا المعاصر ، وهو ما يمنح القصيدة فضاء شعريا رحبا ، وغنيا بالدلالات والإشارات ، واستخدام التراث أعطى القصيدة العربية ثوبا فنيا وبنائيا جديدا ، إذ أصبح عنصرا مهما في تطوير القصيدة العربية إن معظم الشخصيات التي استلهمها الشعراء هي شخصيات دينية تنتمي إلى الموروث الديني وهو أمر شّكل علاقة بين الشاعر والمتلقي ، وهذه الشخصيات متغلغلة في الوجدان لدى الشاعر والمتلقي على السواء، وهذا يعين الشاعر على نقل تجربته ويحقق للنص فعالية كبيرة[2].

كانت شخصيات الأنبياء والرسل واحدة من أهم الشخصيات التي استلهمها شاعرنا واستمد منها فصنعها أصواتا ومضامينا وأهدافا متوخات، وعبر من خلالها عن تجربته ورؤاه وأبعاده الفكرية وفقا لتصويره الخاص ، وعلى نحو يتضمن التواصل والاستمرارية بين زمني الأنبياء " الماضي " والشاعر " الحاضر " كما ينتج هذا الأمر لشاعرنا الانفلاتية من الذاتية إلى الموضوعية وتحويلها وتعميقها إلى أن تصبح تجربة عامة[3].

وقد تناص الشاعر مع الشخصيات التراثية ليعبر بها عن هزائم الواقع وانكساراته وتناقضاته ، ولذالك كانت معظم رموز وأقنعة الشعراء اللذين استلهموها وأعادوا صياغتها وتذويبها في نصوصهم نصوصاً وأقنعة معاناة وغربة ، أو إدانة وثورة وتمرد ، يتغيرون من خلالها تغير الواقع ، والاتصال بمواضيع قيمة يرون الزمن الحاضر فاقدا لها[4].

و بما أن هدفنا من هذه الدراسة أن نسلط الضوء على جانب من الأهمية بما كان في شعر **مفدي زكريا** فلغته الشعرية متشبعة بهذه الآثار ، سواء منها ما تعلق بجانب الشكل والتركيب أوما تعلق بجانب المعنى والمضمون .

وإذا استعرضنا عامة الرموز التي وظفها الشاعر في ديوان اللهب **اللهب المقدس** وجدناها ما تدور على محاور أساسية هي : الأنبياء ، القادمون ، الفاتحون ، والوقائع والأحداث التاريخية ، الرموز العامة ، ومن شخصيات الأنبياء : المسيح ، موسى ، عليهما السلام

---

[1] د- ابراهيم مصطفى محمد الدهون ، التناص في شعر أبي العلاء المعري ، ص 144

[2] د. ظاهر الزواهرة ، التناص في الشعر العربي المعاصر "التناص الديني أنموذجا "،دار مكتبة الحامد ، عمان ،ط1 ، 1434ه- -2013م،ص 133 ،134

[3] د- إبراهيم مصطفى الدهون ، التناص في شعر علاء المعري ، ص144

[4] عصام حفظ الله واصل ، التناص التراثي في الشعر المعاصر ، ص 152

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا انفتح مفدي زكريا بتناصه مع **شخصية المسيح عليه السلام :**

أ _ المسيح الدجال :

فتراه متجليا النص القرآني مستدعيا ملامح المسيح عليه السلام إذا هتم بها إ اهتماما ملحوظا

وظّف الشاعر رمز المسيح مرات عدة ، استحضر في كل مرة منها جانبا من جوانب شخصية المسيح عليه السلام ومعنى من معاني يتوافق مع السياق الذي يرد فيه الرمز ، مثل قصيدة **الذبيح الصاعد** يستحضر فيه بعد الفداء والتضحية بالنفس من أجل تحقيق المثل العليا والمبادئ السامية، فيماثل بين الشهيد " أحمد زبانة " ويشبهه وهو يمشي ثابت الخطى نحو المقصلة ، بالمسيح المرتفع عن كيد أعدائه[1]، فيقول:

قَامَ يَخْتَالُ كَالمَسِيْحُ وَئِيْدَا * يَتَهَادَى نَشْوَانَ يَتْلُو النَشِيْدَا[2]

وحين ينفذ فيه حكم الإعدام يستدعي الشاعر صورة المسيح مرة أخرى حين زعم قاتلوه أنهم ظفروا به وشفوا غليلهم بقتله وهو قد سما ورفع ، هنا تتواجد صورة الشهيد زبانا الذي سمت روحه إلى بارئها كما رفع المسيح[3] فيقول :

زَعَمُوا قَتْلَهُ ومَا صَلَّبُوهُ * لَيْسَ فِي الخَالِدِيْنَ عِيْسَى الوَحِيْدَا[4]

بل إن الشاعر يجعل الجبال الأطلس رمزية أخرى هي جهرية الكلام والتكليم بخلاف التكليم الذي كان على الطور خفية ، إن هذا من خيالات الشاعر ومبالغات الشعر ولا شك ، ففي غمرة حماسية الثورة ضد المستعمر تخيل الثورة كلمة من الله فتح به عهد جديد في حياة الأمة ، كما كان تكليم الله لموسى فاتحة عهد جديد ، في حياته وحياة بني إسرائيل من الاستضعاف إلى التمكين[5]

وكَلَّمَ مُوسَّى الله فِي الطُورِ خِفْيَةً * وفِي الأَطْلَسِ الجَبَارِ كَلَمَنَا جَهْرَا[6]

لقد فرضت ألفاظ الخطاب الرباني ملامحها، ووجودها على النص الشعري لفظا ومضمونا، فأصبح مهيمنا بدلالاته ولفظه في حين نلمسه في ضوء ما تقدم ، تبين الدوافع التي قادت الشعراء وقابلوا مواقفهم بموقفهم ورؤاهم[1].

---

[1] مسعود بودوخة ،إستلهام الرموز الدينية في ديوان اللهب المقدس مجلة الواحات بحوث والدراسات ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة سطيف ، المجلد 7 ، العدد 2.

[2] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 17

[3] مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، المجلد 7 ، العدد 2

[4] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص18

[5] مسعود بودوخة ،إستلهام الرموز الدينية في ديوان اللهب المقدس، المجلد 7 ، العدد2

[6] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 256

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن المشاهد الهامة التي يستحضرها شاعرنا ويوظفها بطرائق شتى ، مشهد المباراة التي حدثت بين موسى والسحرة في إلقاء العصّا .

يعد رمز لكل فعل ، يفرق بين الحق والباطل ويزهق به الباطل ويتجلى الحق للناظرين .

فعصا موسى التي فجرت الصخر ماء بإذن الله تعالى يستعين بها أكثر من شاعر في موضوعات مختلفة ، فعصا موسى هي التي أبطلت سحر السّحرة أمام فرعون وأنصاره[2]

لقد أحس الشعراء منذ القديم أن ثمة روابط وثيقة تربط بين تجاربهم وتجربة الأنبياء ، فكل من النّبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته ، والفارق بينهما أن رسالة النّبي ، رسالة سماوية وكل منهما يحتمل التعب والعذاب في سبيل رسالته ، ويعيش غريبا في قومه هاربا منهم[3]

ونجد في قصيدة " قل يا جمال " التي نظمها بمناسبة الاعتداء الثلاثي على مصر وفي سياق إشادته بثورة الضباط التي كانت في بدايتها تعبر عن آمال الشعب المصري يورد في هذا البيت :

أَلقَى عَصَّاه بها مُوسَى مُروَعَة * رَاحَتْ لما بَثَ إِسْمَاعِيْل تَلْتقِم[4]

فإسماعيل هو الخديوي إسماعيل الذي وزع أسهم استغلال القتال على الأجانب ، فهو يشبه تلك التعهدات بالسحر الذي بطل عند مجيء الحق.

فالشاعر وهو يتحدث عن ثورة التحرير ، هذه الثورة تشبهت عنده بعصا موسى التي تلقفت سحر السحرة وباطلهم ، ولكن الثورة تلقفت النار بدل السحر[5].

ويقول :

وَرِثْنَا عَصَّا مُوسَى فَجَدَد صُنْعَهَا * حجانَا فَرَاحَتْ تَلْقُفُ النَّارْ لاَ السِّحْرَا[6]

وفي قصيدة "ماذا تخبئه يا عام ستينا " التي يبدو أن الشاعر نظمها في عزة العام الميلادي َيستحضر رمز المسيح مبرئا مما يرتبكه المستعمرون المدعون للانتساب إليه فيخاطبه قائلا :[7]

ويَا ابْنَ مَرْيَمَ فِي ذِكْرَاكَ مَوعِظَّة * لَو أَنَهَا تُلهِمُ الرُشْدَ، مَجَانِينَا؟[1]

---

[1] د- ابراهيم مصطفى محمد الدهون ، التناص في شعر أبي العلاء المعري ، ص153

[2] د- محمد شهاب العاني ، أثر القرآن في الشعر العربي ، ص 122 ، 123 (بتصرف)

[3] د- إبراهيم مصطفى محمد الدهون ، التناص في شعر أبي العلاء المعري ، ص153.

[4] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 252

[5] د- محمد شهاب العاني ، أثر القرآن في الشعر العربي ، ص 122 ، (بتصرف)

[6] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 256

[7] مسعود بودوخة ،إستلهام الرموز الدينية في ديوان اللهب المقدس ،مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 7 ، العدد2

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي سياق قريب من هذا أو في قصيدة " **ذرو الأحلام واطرحوا الأماني** " التي نظمها الشاعر على هامش المؤتمر القومي للثورة الجزائرية المنعقد في ليبيا 1960 يخاطب المستعمرين موبخا لهم على جرائمهم التي يتبرأ منها المسيح والنصارى فيقول :

فَيَأْتُونَ الجَرَائِـــمَ سَافِرات * فَـضَّائِح تَهتِكُونَ بِهَا الوَقَـارَا

قَدْ احمَرَ الصَّلِيب لَها حَيَــاء * وَضَجَ لَهَا ابْنُ مَرْيَمَ وَالنَصَّــارَى[2]

وللثورة التحريرية نصيب من رمز المسيح ، والرمزية هنا ترتبط بالمعجزة ، فإذا كانت معجزة عيسى أن أحيا الموتى فإن ثورة التحرير اشتبهت تلك المعجزة بأن حولت الجبال الصماء إلى كيانات حية تنطق بالمقاومة

ولشخصية المسيح المصلوب أبعاد ماثلة في إنسان العصر الحديث سواء كانت شخصيته في ميدان القتال بمفردها أو وقوف المسيح وحيدا لمواجهة مصيره[3].

وهكذا فإن رمزية المسيح في ديوان اللهب المقدس امتدت عبر ثلاثة أبعاد: التضحية ، الفداء ، التسامي التنزه عن الجرائم للمستعمر ومعجزة الأحياء بعد الموت

وتعد شخصية النبي عيسى عليه السلام من الشخصيات الفنية ، والخصبة بالدلالات والمعاني التي تمنح التجارب الشعرية عمقا ، وتزيد الخيال اتساما، وأفقا أرحب، ومن هنا نلاحظ أن هنالك شعراء كثيرين استفادوا من شخصية عيسى عليه السلام ووظفوها توظيفا يتلائم مع ميولاتهم الشعرية.[4]

ب_ موسى عليه السلام :

ومن الشخصيات القرآنية التي استلهمها الشاعر شخصية سيدنا موسى عليه السلام فقد وردت في القرآن الكريم (67) موضعا ،وفي (61) آية ، حيث عمد الشاعر على امتصاص دلالتها القرآنية المستشرقة والطافحة بالعبر والدروس ، والمواعظ فكانت وسيلة الاتصال للشاعر بالقرآن الكريم .[5]

فنجد الشاعر يوظف رمزية التسامي والصعود كما في قصة عيسى عليه السلام ، ولكن الصعود هذه المرة يتجلى في قصة التكليم التي شرف الله بها موسى عليه السلام على جبل الطور. الشاعر يوظف هذا البعد لتصوير التسامي الروحي لزبانة عندما استخّف بالموت لأنه كان يتطلّع إلى ما بعده من شرف ونعيم

فيقول :

---

[1]مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص129

[2]مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 132

[3]ـــ مصطفى السعدني ، في التناص الشعري ، ص 138 (بتصرف)

مسعود بودوخة ،إستلهام الرموز الدينية في ديوان اللهب المقدس ، المجلد 7 ، العدد[4]2

-ابراهيم مصطفى محمد الدهون ، التناص في شعر علاء المعري ، ص[5]152

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حَالِمًا كَالْكَلِيمِ كَلَمَه المَجْـ * دُ فَشَدَّ الحبالَ يَبْغِي الصُعُودا[1]

ولا يتوقف استمداد الشاعر من قصة التكليم عند هذا الحد بل يسبغ على جبال الأطلس قداسة تضاهي[2] قداسة جبل طور الذي كلّم الله عليه موسى

واقْتَدَى الأَطْلَسُ المُقَدسِ بِالطُورِ * فَكَانَ الكَلَامُ فِيهَ جِهَّارَا [3]

3- التّناص مع الحديث النّبَوي الشّريف :

يعد الحديث الشريف المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي التي يأخذ بها المسلمون في حياتهم ويقرون بما جاء به وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد وضّح للناس ما فيها من فضائل وشمائل وسلوكات وتشريعات إسلامية كثيرة ، كانت قد أجملت ، ولم تبين في القرآن الكريم .[4]

وقد جاء مفسرا لكثير مما جاء في القرآن الكريم ، ولم يكن حبه ينطلق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، لذلك استلهم الشعراء كثيرا من الأحاديث النبوية الشريفة لفظا ومعنى ، وضمنوا أشعارهم الكثير مما جاء به النّبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك لمنزلة صاحبه عند المسلمين ، مما جعلهم يقتدون بهديه ويسيرون على خطاه ، فكان الحديث حقلا واسعا من حقول اتكائهم على ما فيه من المعاني والأفكار[5].

ويشكل الحديث النبوي الشريف في شعر مفدي زكريا مادة خصبة ومصدراً أساسياً من مصادر تجربته الشعرية ، مستحضرا ألفاظه وتراكيبه ودلالاته ، موظفا أسلوبه وإشعاعاته ، توظيفا منتجا ومتداخلا مع النص الشعري للتعبير عن قضاياه ومواقفه الإنسانية والفكرية .

وتفاعل شعر مفدي زكريا مع الحديث النبوي الشريف يجسد نضج التناص الديني ، ويشخص عمق المام الشاعر بالمكون الذي ، يستلهمه ، ومن جهة ثانية يلوح إلى ارتفاع وتيرة التمازج والتعالق بين الحديث النبوي الشريف لما يحتويه من أصوات واتجاهات وإشارات وبنى دلالية ، وتراكيب لفظية متعددة .[6]

نجد أن شاعرنا انطلق من شخصية نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أكرم من جاء إلى الحياة ، فنشر الحق ، وزرع العدل في النفوس ، فهدى الله به الناس[7] حيث **يقول :**

مُـحَمَدٌ أبْقَى لَنَا عِبْـرَةً * مِنْ الذِنْبِ ، والغَثَّمِ القَاصِيَةَ[8]

---

[1] مفدي زكريا ،اللهب المقدس ، ص 17

[2] مسعود بودوخة ،إستلهام الرموز الدينية في ديوان اللهب المقدس ، المجلد 7 ، العدد 2

[3] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 204

[4] إبراهيم مصطفى محمد الدهون ، التناص في شعر أبي العلاء المعري ، ص 164- 165

[5] ظاهر محمد الزواهرة ، التناص في الشعر العربي المعاصر ، ص131

[6] إبراهيم مصطفى محمد الدهون ، التناص في شعر علاء المعري ، ص 165

[7] المرجع نفسه ، ص 166

[8] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 287

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فدّل هذا القول إلى قوله صلى الله عليه وسلم :«يَدُ الله مَع الجَمَاعَةِ ، وإِنَّمَا تَأْكُلُ الذِئْبُ من الغَنَمِ القَاصِيَةِ»*[1].

فالتناص مع الحديث النبوي ليس جديدا في الشعر ، فتوظيفه ورد بشكل فعال وبارز بحيث انصهر في السياق الشعري واتحد بمضمونه وتوقفت عليه براعة الشاعر في استحضار النص الغائب ودمجه ، حتى يلقي بأبعاده الثقافية والمعنوية الراسبة في أعماق المبدع والمتلقي معا ، ونسجل هذا الحضور البارز لنص الحديث في شكل تناصي جد واضح ، يقول في إحدى قصائده الثورية :

وَمَنْ يُلْدَغُ ، فَإِنَّا قَدْ لُدغْنَا * خِدَاعاً مِنْ جُحُورِكُمْ مِرَارا[2]

وهذا المعنى يتقاطع مع نص الحديث الشريف :**«لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ الجُحْرِ مَرَتَيْن »***[3]

فمعنى البيت مبني على الإشارة إلى مضمون الحديث إذ يقصد به أن اللدغ تكرّر بتكرر الخطأ.

ويتضح مما سبق أن تناص مفدي زكريا مع النصوص الدينية الإسلامية ، القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، كان واضحا ومميزا في شعره فقد شكلت النصوص الدينية رافدا جوهريا من روافد صياغة النسق الشعري وبناء تراكيبه ونظم جمله ويعد من أنجح الوسائل التعبيرية وذلك لخاصية جوهرية في هذه النصوص تلقي مع طبيعة الشعر نفسه ، في كثير من جوانبها . وتكاد ذاكرة الإنسان في كل العصور تحرص على الإمساك بالنص إلا إذا كان دينيا أو شعريا وهي لا تمسك به حرصا على ما يقوله فحسب ، وإنما على طريقة القول وشكل الكلام أيضا ومن هنا يتضح توظيف التراث الديني في الشعر، خاصة ما يتصل منه بالصيغ تعزيز قويا لشاعريته ، ودعما لإستمراريته في حافظة الإنسان .[4]

حيث يحتل القرآن الكريم مركزا مهما في نفوس الشعراء و الأدباء ، وذلك لغنى آياته بطاقات لا تنفذ و الأسلوب الفني المعجز ، وبلاغته المشرقة ، لإضافة لاحتوائه قيما فكرية ن كما يعد رافدا غنيا ، منهلا للشعراء فاستقى منه الشعراء طاقاته بما يدعم ويساند تجاربهم الشعرية ومواقفهم الفكرية ، وهنا تتبدى الوظيفة الأساسية و الجمالية للتناص القرآني في الشعر في تأسيس لغة جديدة ، لغة طافحة بحيوية دافقة ، ومشحونة بطاقات عظيمة ، تكسب النص الشعري رونقا جماليا وثراءا فنيا وصدقا قويا.

ولايخفى على أحد أن النصوص القرآنية قادرة ـــ بلا شك ـــ على رفد ذاكرة الشاعر بمعان ودلالات ، فكان استدعاء الشاعر واستلهامه لآيات القرآن الكريم ، أو ألفاظه ، أو قصصه أو أحداثه ، فإنه نص مليء بالتجارب و الحقائق ، نص خصب منفتح على آفاق علوية مشرقة مكتنزة برؤى متعددة الانفتاح الدلالي .

---

[1] صحيح مسلم ، الجزء 4 / 1999

[2] مفدي زكريا ،اللهب المدقدس ، ص 132

[3] صحيح البخاري ،ج5 / 2271

[4] إبراهيم مصطفى محمد الدهون ، التناص في شعر أبي العلاء المعري ، ص 178

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع :

1ـــ القرآن الكريم

2 ـــ الحديث النبوي الشريف

3 ـــ صحيح مسلم ، الجزء 4 / 1999
4 ـــ صحيح البخاري ،ج5 / 2271

5 ـــ محمد شهاب العاني ، أثر القرآن الكريم في الشعر العربي دراسة في الشعر الأندلسي, دجلة ,عمان.2007
6 ـــ د. إبراهيم مصطفى محمد الدهون،التناص في شعر أبي العلاء المعري،عالم الكتب الحديث ،الأردن ،2005

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7 ـــــ سعيد سلام ،التناص التراثي "الرواية الجزائرية أنموذجا "،عالم الكتب الحديثة ، إربد – الأردن ، ب ط 2009 .

8 ـــــ بو علي الناصر ، التناص الديني في شعر مفدي زكريا ،مجلة الآداب واللغات ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة الجزائر ، العدد السابع ، ماي ، 2008 .

9 ـــــ مفدي زكريا ،اللهب المقدس ، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر ، ب ط2008

10 ـــــ عصام حفظ الله واصل ، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر ، دار غيداء عمان ، ط1 ، 2011م

11 ـــــ د. ظاهر الزواهرة ، التناص في الشعر العربي المعاصر "التناص الديني أنموذجا "،دار مكتبة الحامد ، عمان ،ط1 ، 1434ه- -2013م

12 ـــــ مسعود بودوخة ،إستلهام الرموز الدينية في ديوان اللهب المقدس مجلة الواحات بحوث والدراسات ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة سطيف ، المجلد 7 ، العدد 2.

13 ـــــ مصطفى السعدني ، في التناص الشعري ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ب ط ، ب-ت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com